

## المرأة والدفاع عنها، للشاعر الوردى جميل صدقي الزهاوي

سامان كركوكي

بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة أردنا أن نرفع صوت فيلسوف العراق والشاعر الكبير والمصلح الاجتماعي الكوردي جميل صدقي الزهاوي (١٩٦٣-١٩٣٦) عالماً، الذي نشر في عام ١٩١٠، أي ما يقارب المائة عام، مقالة في صحيفة المؤيد تحت عنوان "المرأة والدفاع عنها"، واصفاً إياها، أي المرأة، بـ"دواء الشباب وجمال الطبيعة وتضارة الحياة وثوب الربيع الفشيب وزهرة الأرواني لباس الشعر الذي يتغنى به الرجل"، ذاكراً بأن "الرجل بدون المرأة قياس عقيم لا ينتج"، واصفاً المرأة، لا غيرها، بـ"تعزية الرجل وإعتماده وساعده وتخفيف عبء الحياة عليه وتقسيم مشاقها يوم توحشه الوحدة وتخله العزلة"، مبيّناً بأن المرأة مثل الرجل إنسان يعقل، إنسان له عواطف وإحساسات، يشترك معه في العمل، سائلاً، كيف يجوز أن يكون الرجل القاضي عليها بالحكم وهو خصمها، منتقداً التعامل القاسي من قبل الرجل في هضم حقوقها الدنيوية، مهاجماً بعض

تعدد الزوجات. فبرأي الزهاوي لو أردنا أن نقدر الدرجة التي وصل إليها أي شعب من الشعوب في الحرية فعلياً أن نبحث في الحرية التي يتمتع بها النساء فيه، يعني أن مقدار التحرر الذي تحصل عليه المرأة من العبودية السالفة في أي مجتمع هو أضيظ مقياس لتحرر هذا المجتمع، قال الزهاوي: إنما المرأة والمرء سواء فهي الجدارة / علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة هذا هو موقف شاعرنا الكبير من المرأة وهذا رأيه الصريح في جدارتها وحققها في الحياة. لقد جعل شعره امرأة واضحة لنزعات العصر، فهو عدو الجمود وهو عدو الطغيان، يدعو إلى حرية الفكر وإلى الأخذ بكل جديد في بداية القرن العشرين. نحن نعرف بأن حال المرأة العراقية في تلك الفترة كان حال إختها في بقية البلدان المسلمة أو أسوأ حالاً، فهي كانت محرومة التعليم، تتخبط بدجاجير الجهل والتخلف، مفروض عليها الحجاب بأشد صورة، تقيد بها العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة آنذاك بقويدها القوية. والذي نعرفه، بأن سعادة كل مجتمع

ورقي كل أمة مصدره المرأة، لأن الرجل يستمد ثقافته وسلوكه منذ صغره منها، كما أنها مبعث الهامة ونقطة إنطلاقه إلى الحياة السعيدة، لأن إهتمامها بالحياة أكثر من إهتمامه وهي وحدها التي تتمكن من معرفة كنه الحياة وكيف يجب التغلب عليها. ومحصل فلسفة الزهاوي في المرأة هذان البيتان: **رفع الشعب فر؟ قان: إنث وذكور / وهل الطائر إلا بجناحيه يطير** وربما جاز تلخيص رأيه في تعدد الزوجات في قوله: **باتي الزواج بأربع ويخال مايتيه رشدا / ويرى هناك طلاق سلمه واجبا ليحوز سعدي إني لأعجب كيف يلقي العن ذو الأزواج رغدا / بل كيف يجمع واحد في منزل ضدا وضدا** وبعد مرور قرن على نشر مقالة الزهاوي الحكيم ودعوته إلى تحرير المرأة العراقية، نسال القارئ الكريم، هل يعترف الرجل اليوم بهذه الحقائق ويسجل على نفسه ما ارتكب من أخطاء تجاه المرأة في الماضي البعيد القريب ويبدأ يسعى للتعاون معها ويعترف بحقوقها أخيراً؟

٢٢٢٦

انت خبوا



٢٢٢٦

قائمة نينوى المتأخية

## المسافة الفاصلة ما بين الحق ونظيره

العقبات أمام المرأة وعدم فرض أي قانون عليها أما ما تبقى فإنه يبقى رهنا بوعيها وتجربتها وسلطة القوانين الأخرى الراعية للحالات المختلفة للعمل وجوانبه وشروطه فلا يجب أبداً الانتقاص مم وصلت إليه المرأة عبر نضال طويل مرت فيه من مرحلة إلى أخرى تحصل في كل منها على حافزة حقوق وراء الأخرى فبأي حق سنكون السيوف المسلطة على رقابهن بلا أي مسرر وتحت حجج واهية . إن الخلاص من مبدأ التردد في التصريح بأحقية جانب من الحقوق وخلاف الأخر للحقيقة يتولد من الوعي بمجمل التفاصيل التي يمكن استغلالها من قبل البعض للتلاعب على الجبلين وإمكانية ملء الثغرة القانونية والأخلاقية في صلب القانون المنصوص عليه وتبقى مسألة الدفاع عن حق من هذين رهينة بعض الشروط الواجب الاحتفاظ بها والتحفظ عليها فلا يجب نقض مثل هذه الحقوق تماماً (جملة وتفصيلاً) بل التحفظ على سلباتها لتبقى المرأة هي الوحيدة القادرة على لعب الدور الأساس في تطبيقها على أكمل وجه بعيداً عن سلطة الآخر المغاير الذي يتمثل في سلطة الرجل الراع لمثل هذه الحقوق أو المرأة غير الواعية لحقوقها على أكمل وجه . وإن بسدا الأمر ولويد المجتمع المعاش فيه وكان القانون سيد الإجماع أو الإذلاء برأي الأغلبية والاستناد عليه في طرح المسألة وتبنيها فإن هذا لا يمنع أن يكون المبدأ هو حرية المرأة أو لا نبذا لكافة القسود الاجتماعية عليها وإن الرضوخ لسلطة الأمر الواقع تبقى كفيلاً يجعل المرأة عيدة دائمة لتواتر الظروف العاملة أبداً على الاستعلاء عليها وهضم حقوقها نظراً للسلطة الرجولية . وإذا ما ألقينا نظرة خاطفة على الدستور السوري الذي لم ينص على أي عمل محظور على المرأة فإنا لن نجد إلا المثال الجيد للتشريع في مجال المرأة من هذه الناحية في حين أن الأمر ينعكس تماماً في بعض الدول العربية الأخرى التي تعد وتحتصر عمل المرأة في مجالات معينة وإن تقول حظر بعض الأعمال عليها لأن المنع وإن تمثل في جزء بسيط من الحياة المهنية فإن هذه النقطة البسيطة تجعل من الجو العام لعمل المرأة وحريتها مشحوناً بغمامة سوداء تظل هي المرئية على اتساع السماء وإن كان كامل الصفاء في كل بقعة فيه

المحظور في عمل المرأة حتى ذو حدين عامر مراد حين يكون الإنسان من دعاة الحقوق فإنه وفي بعض اللحظات قد تختلط عليه الأمور بحيث يصبح الحق مزدوج الحدود وحسينها يتردد في اختيار الأفضل لمصلحة المبدأ الذي يدافع عنه وخاصة وإن كل حد من هذه الحدود يكون له من المناصرين الذين يدلون بدلوهم بالحجج والبراهين حول الجانب الذي ينتمون إليه وربما كانت مسألة حق المرأة "في أن تنص القوانين على أن تكون سيدة نفسها في اختيار ما يحلو لها من عمل لتقوم به دون أية عقبات وموانع أو أن تنص هذه القوانين والساتير على بعض الأعمال والمهن التي يجب حظرها على هذه المرأة لا تتناسب وطبيعتها غير المؤهلة جسمانياً لتحمل الأعباء الجسام والأخطار المتوقعة على صحتها والتي تتضمنها بعض هذه المهن " من هذه المسائل التي قد تلج مغارق الطرق ويبقى الحكم غير قادر على استنباط القواعد والأسس التي سيحسبكم عليها في القيام بوظيفته المفصلية في الفصل والتفريق . فإذا كانت بعض الدساتير العربية تنص على عدم حظر أي عمل على المرأة فإن بعضها الآخر تنص على بعض الأعمال المحسودة التي لا يسمح للمرأة في العمل والاختراع فيها مثل العمل في المناجم ومواقع استخراج النفط والغاز والمحاجر والصناعات التحويلية وغيرها فإن صلاحية القانون الأول أو الثاني تبقى على المحك فهل يجب أن تمنع بعض الأعمال على المرأة في حين أننا نطالب بالحرية الكاملة لها . لا تسمح هذه القوانين بتمرير قوانين أخرى كثيرة ضد المرأة وحقوقها وحريتها بذريعة الحفاظ عليها وعلى مصلحتها وحقوقها الواجبة من قبل الدولة وبذلك تنتقل من حالة حقوقية من المفترض بها أن تكون ورقة الضمان للمرأة إلى حالة دستورية لا تتجانس مع المطلوب من شروط المساواة والعدالة وفي حال تنقش من هذه الأمور المحظورة في الدستور والقانون فإن ذلك أيضاً من شأنه أن يجعل المرأة عرضة لحالات الاستغلال من قبل أصحاب العمل الذين يحاولون تشغيل المرأة في أعمال لا تناسبها وبحقوق مهضوم معظمها . وحسين نستكشف ما في الناحيتين من خلل ومن ضرورات تبقى أمام حالة من الحيرة ومن خلل البوصلة وهنا قد نجد بأن الأفضل ربما يكون العمل نحو إزالة كافة

## في البدء كانت المرأة، ثم صارت أنثى فقط..!

د. فاضل الخطيب

أحباً مونتسكيو امرأة جميلة ومشبها جميلة، لكنها تعرج عندما ينظر إليها أحدًا. لن أتحدث مجدداً عن الظلم والغبين الذي تعيشه المرأة في مجتمعاتنا، ولا عن القوانين العنصرية المتخلفة التي تظلمها وتحقرها، لن أتحدث عنها كـ"زنجي (عبد) العالم". لن أذكر بالوزير السورية ديالا الحاج عارف - لو غير ترتيب اسمها - ورفيقتها القبيسة ورفاقها المتسلحين "بالمقدس" والعادات... لن أتحدث عن عثمان وأفرويدت وفينوس ولا عن ماري كوري والأم تريزا، ولا عن سبا وكليوباترا ونوبيا، لن أتحدث عن عظمة إيداعها، عن الأمومة، عن الحب هالحرقين مثل أكثر... التي يسطلعو قد الذي وأكثر... عليهم تعمر أساس الكون... وأياً نبي بالحلم ما بشر...؟! في البدء كانت المرأة ثم جعلنا منها نحن الرجال (الذكور) أنثى فقط... وإثبات ذلك ما ورد في كتاب الشغل (سفر التصنيع) للمستورة كان وأختها في "التيكفاريوم"، يقول الكتاب: "في يوم تحدثت فيه حواء إلى الله: يا إلهي عندي مشكلة... شو يا بنتي.. خير يا حواء!؟... إلهي، أعرف أنك خلقتني وأعطيتني حذائق رائعة مليئة بالحيوانات من السعدان والخرافان والنمور والأسود والطيور المفردة الجميلة، وشمس ساطعة ونجوم متلألئة وقمر منير، وحتى هذه الأفعى الملعونة أيضاً خلقتها وحطيتها في حدائق، رغم ذلك لست سعيدة... ليش يا حواء يا عيني يا بنتي... يتردد الصوت من أعلى...؟!... وحدي عايشة، ما فيه أحد يسلمني، الوحدة قاتلة، وما عاد عندي رغبة بانفتاح اللي زرعت لي في كل مكان... + طيب في هذه الحالة يا حواء راح إخلق لك رجل (زلمي)... شو هذا زلمي، شو يعني رجل؟!... هذا كان سيكون غير كامل، مشوه شوية، يكذب، يخدع، مراوغ ومعتز بنفسه وفخور... لكن سيكون كبير شوية وعضلاته أقوى من عضلاتك، وسيقوم بالصيد ومطاردة الحيوانات بكل سعادة، وسيقتل بكل ارتياح ومثمة وبلا شعور بالذنب، منظره راح يكون بيضحك عندما يتنهج ويتور، ولكونه كثير الشكوى سأقوم بخلقه كي يلبي غريزتك الجنسية، هذا صحيح إنو شوية معتد ونرجسي، وكثير أحياناً يتمسك بأمور تافهة مثل الضرب والمصاهرة وكرة القدم، لذلك سيكون بحاجة إلى نصائحك كي يعرف بأي اتجاه عليه مطاردة الغنم... هذا شيء رائع، برافو يا إلهي...!! قائلتها بتهكم واستهجان وسخرية... + ستحصلين عليه بشرط واحد... هيك خلقه بسذك تعطيني إياه وبشروط! وما هو هذا الشرط؟!... مثل ما قلت لك الزلمي مغرور ومعتد بنفسه، لهذا السبب يجب عليك إيهامه بأنني خلقتة قبلك...!! لا تتسي ذلك وهذا سيكون سرّ بيني وبينك فقط...!!



... هذا كان عن خلق المرأة فنقرأ في سفر الإبداع للحرمة إن وأختها الفصل التالي: "عندما خلق الله المرأة اشتغل في اليوم السادس من المساء، وجاءه بالصدفة الملاك ومينس إيل وسأله: - ماذا تفعل في هذا الوقت المسالني؟! أجاب الرب: + شيايف! أضع كل المواصفات والخواص التي يجب عليها أن تحصلها، يمكنها الغسيل ويمكن غسلها رغم أنها ليست بلاستيكية، تتألف من أكثر من سبع مائة قطعة متحركة ويمكن تبديل أية واحدة منها كي تناسب تحضير كل أنواع الأطعمة، تستطيع حمل أكثر من طفل بين يديها وعلى ساعدها، وعليها أن تحارب كل مكروه يمكن أن يتعرض له طفلها... يظهر شعور ارتياح على وجه الملاك ومينس إيل، ويسأل: - يدان اثنتان... هذا مستحيل! وهذا هو القالب الرئيسي - هذا عمل كثير ليوم واحد... انتظر حتى اللغ ثم تنتهي العمل فيها... لا... قال الرب - صرت قريب جداً من إنجازها وتعتبر الأقرب إلى قلبي... تستطيع معالجة نفسها بنفسها، وفي يوم ما قادرة على العمل ١٨ ساعة... يقرب الملاك أكثر ويلمس المرأة، ثم يقول: - لكك يا سيدي صنعت تحفة طرية! + صحيح - يقول الرب -، لكنها قوية، ما بتقدر تتصور قديش فيها تتحمل وقديش فيها تصبر...! - تستطيع التفكير؟ - يسأل الملاك - + ليس فقط التفكير وإنما تستطيع تقديم الحجج المنطقية وإيجاد لغة للتفاهم، رائعة في الحوار... يضع الملاك يده على وجه المرأة ويقول: - سيدي هذه التحفة - عابتنفس - يتسرب ماء من داخلها، يمكن تكون ضغطتها كثير؟! + ما بتنفس ولا هم يحزنون، هذه دموعها يا إبنتي وليست ماء... وشو هذا، ليش الدموع؟ - يسأل الملاك - ويرد الرب: + بدموعها تعبر عن مشاعرها، عن حزنها،